عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 138 / 19 تشرين الثاني 2019

دير الزور
خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

هلال النار وحرائق الأمل

تآتّقد حطب المانعة، ووجد زعماء المحور في طهران أنفسهم، يواجهون دفعة واحدة حرائق متوالية على امتداد هشيم هلال القحط السياسي والاقتصادي؛ الذي أقاموه بقوة مزيج من الوحشية والثروة.

انهارت معادلة الاستقرار الموهومة في مواقع قوتها، وتداعى منطق آيات الله السياسي القائم على ابتلاع التحدي والضربات الإسرائيلية المتوالية في سوريا تحت ذريعة "التمكين"؛ الذي تنتهجه بذات مساره الخانق، كل تفريعات تنظيم "القاعدة"، بحثاً عن تمركز مستقر يتجاهل صانعوه ثمن تحققه ما دام قائماً.

من دير الزور التي ترفض بعناد أيّ تمدد إيراني إضافي، بمظاهرات صغيرة لكنّها مركزية الأثر بالنسبة إلى مصير سوريا كلّها، إلى لبنان، الذي مادت أرضه بحكم حزب الله، جوهرة تاج الإرهاب في نطاق الحرس الثوري، مرورا بالعراق؛ كنز إيران الأثمن في الشرق الأوسط طائفياً، وصولاً إلى الأحواز ويزد وأصفهان وشيراز وكرمنشاه وطهران، بل وقم ذاتها قلعة الإكليروس الحاكم في إيران، اشتعلت التظاهرات ضد الجدب السياسي، وانعدام أفق الأمل، الذي فرضه إيقاع منتظم لامتصاص ثروات الأمم، من أجل تمويل مشاريع هيمنة، لم تقدم من عائد سوى الفقر والانعزالية الشعائرية البائسة.

تقول حكمة فارسية قديمة "لا آمال في اليأس"، اليأس الذي سعى معسكر المانعة القمعي إلى تكريسه كحالة وطنية عامة، في هلال إيراني تسوده قسراً معادلة تقديم شعارات معركة القيامة وتحرير القدس بالخطابات، على أولويات وطنية تمس حياة الناس وخبزها وحرياتها ومستقبل أبنائها. والآمال التي انفجرت بشعارات مضادة، أنتجتها الحاجة الملحّة إلى استعادة الحياة، وصاغتها آليات اجتماعية لا تنافق في تحديد أولوياتها وفي حماية مصير أبنائها.

صاح اللبنانيون "هيلا هيلا هو"، ورد العراقيون بوضوح ساطع "بغداد حرة حرة.. إيران تطلع برا"، بينما اختار الإيرانيون -وهم المعنيون أولاً بهذا- أن يعلنوا موقفهم بصيغة تاريخية "مرك بر ديكتاتور" (الموت للطاغية) في انقلاب تام وعاصف لشعار الثورة الخمينية.

يعرف المتظاهرون في شوارع بيروت وبغداد والبصرة وطهران ثمن المواجهة، وهم جميعاً شاهدوا دير الزور وحلب وحمص وريف دمشق تتحول إلى ركام في حرب كاملة، شنّها محور هلال الدم الطائفي على مدنيين بأسلحة محرمّة دولياً، لكنّ الرسالة التي أريد لسوريا أن تكونها، وصلت مقروءة بوضوح لم يتوقعه سدنة القمع والإرهاب والتفقير المنظم... إنّه الأمل أخطر أعداء القتلة.

3 استثمار نفط دير الزور في قلب التجاذبات الإقليمية والدولية

5-4 نشاط خلايا النظام في مناطق قسد من دير الزور

6 دير الزور "المطعونة".. مدينة لم تعد تكترث لذاتها

7 العائدون إلى العشارة يفرون مجدداً

10 هل يحافظ حميدي الدهام على حياده وعلى قواته

13-12 هل جمع تجمع خالد بن الوليد المال في سرمين للبغدادي

17-16 التحرش الجسدي واللفظي "ضريبة" تدفعها النازحات

19 شلة كوبا.. بشار عجيب ورفاقه

استثمار نفط ديرالزور في قلب التجاذبات الإقليمية والدولية شرق سوريا

فيصل دهموش بعد غموض وجدل كبيرين، قررت الإدارة الأمريكية إبقاء قواتها في منطقة الجزيرة السورية، ما وضع حداً للكثير من التكهنات والتحليلات السياسية حول مصير المنطقة بعد انسحاب القوات الأمريكية منها، ولكن القرار جلب معه تحليلات أخرى مرتبطة بملف النفط في المنطقة والتصريحات الأمريكية بخصوصه.

خلال الأيام القليلة الماضية، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية المزيد من قواتها لتعزيز تواجدها في الجزيرة السورية، وتركز انتشارها داخل وحول حقول النفط والغاز بدير الزور: حقلي العمر والتنك النفطيين ومعمل كونيكو للغاز بشكل أساسي، وتتوارد أنباء حول إنشاء قواعد عسكرية أمريكية إضافية في شرق دير الزور بالقرب من قرية الباغوز وشمالها في ناحية الصوّر، كما أعلن الرئيس الأمريكي ترامب أن الهدف من بقاء قواته في شرق سوريا هو لحماية آبار النفط من تنظيم داعش، وأضاف نائبه مايك بنس: "أن الولايات المتحدة لن تسمح بسيطرة روسيا أو إيران أو الحكومة السورية الحالية على حقول النفط شمال سوريا". كما أكد وزير دفاعه مارك إسبر على أن "القوات الأمريكية ستتصدى بقوة لأي محاولة لانتزاع السيطرة على هذه الحقول من أيدي الجماعات المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية". حيث سبق أن تصدت قوات التحالف الدولي عدة مرات خلال العامين الماضيين لمحاولات ميليشيات تابعة لنظام الأسد في بلدة خشام التقدم للسيطرة على حقل العمر النفطي المجاور للبلدة.

تركز استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في شرق سوريا على منع عودة ظهور تنظيم داعش في المنطقة، ومراقبة أنشطة إيران فيها، ويأتي بقاء القوات الأمريكية لحماية حقول وآبار النفط كهدف استراتيجي آخر يتمثل في حرمان نظام الأسد وحلفائه الروس من الاستفادة من الموارد المحلية بما يحسن أوضاعهم الاقتصادية في سوريا، وهذا ما لاقى معارضة من قبل الروس الذين اتهموا الأمريكيين بتهريب النفط من حقول الشرق السوري إلى خارج البلاد.

يتضح من التصريحات الأمريكية والروسية حول ملف النفط في شرق سوريا، الأهمية الاقتصادية لهذه الموارد لإدارة الصراع المحلي في منطقة الجزيرة السورية، وهذا ما أكده تصريح الرئيس الأمريكي ترامب في هذا السياق بأن عائدات النفط سوف تستخدم لتمويل حلفائه المحليين لمواجهة خطر داعش وحماية السجون التي تحتجز فيها قسد عناصر التنظيم، وكذلك لدعم الخدمات والإغاثة في المنطقة، ما سيخفف من الأعباء المادية على الإدارة الأمريكية.

منذ انتزاع السيطرة عليها من تنظيم داعش ولغاية اليوم، تدير "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) حقول النفط في شرق سوريا، وتعين لذلك الغرض "هافالات" (وهي التسمية المحلية للكوادر الأكراد المشرفين على الإدارات المدنية أو العسكرية في الإدارة الذاتية) للإشراف على بيع النفط وتصديره، وشكلت فيما بعد هيئة المحروقات (سادكوب) لتنظيم وإدارة بيع النفط الخام للتجار المحليين، وأبرمت عقود استثمار مع تجار من خارج المنطقة أيضاً. وتستخدم قسد جزءاً من عائدات النفط لتغطية رواتب مقاتلي المجالس العسكرية بشكل رئيسي مقارنة بتمويل الخدمات الأساسية وتقديم الإغاثة الإنسانية في المنطقة.

وتؤكد العديد من المصادر المحلية في شرق سوريا وجود فساد كبير يعشعش في هذه الإدارة فيما يخص عائدات بيع النفط. فعدا عن السرقات من العائد المالي لبيع النفط من قبل بعض "الهافالات" المشرفين على آبار النفط وهيئة المحروقات، فهناك العديد من التسهيلات لتجار النفط المحليين المقربين من الإدارة، ابتداء من المحسوبيات في تخصيص وتحديد الأدوار مقابل رشاوى لمشرفي وأعضاء مكتب سادكوب، إلى السماح لتجار النفط باستجرار كميات نفط تفوق المخصصات التي سددوا أثمانها، إلى جانب التسهيلات التي يقدمها عناصر في المجالس العسكرية العرب والأكراد لشبكات تهريب المحروقات المنتشرة في ريف دير الزور الشرقي مقابل جزء من عائدات التهريب، حتى أصبحوا جزءاً من هذه الشبكات المحلية.

ولمواجهة مطالب بعض فروع العشائر المجاورة لآبار النفط بحصص من عائدات الآبار في مناطقهم، خصصت قسد أياماً محددة شهرياً تستفيد فيها تلك الفروع العشائرية من آبار النفط في قرى: جديد بكارة، جديد عكيدات، ماشخ وبعض قرى الخابور لاستثمارها لحسابها الخاص، إضافة لتخصيص استثمار مشابه لمجلس دير الزور العسكري، بينما عمدت إلى تخصيص مبلغ إضافي من عائدات النفط لبعض المجالس المدنية والبلديات في منطقة عشيرة الشعيطات دون مراقبة كيفية صرف هذه المخصصات من قبل أعضائها ومحاسبة الفاسدين منهم.

في المحصلة لا تختلف كثيراً إدارة قسد الحالية لحقول النفط عن طرق إدارتها من قبل القوى التي سيطرت على المنطقة سابقاً، نتيجة طبيعة البنية الاجتماعية لهذه المنطقة. ويزداد انتشار عمليات تهريب المحروقات إلى مناطق نظام الأسد، كأبرز مظاهر استمرار اقتصاد الحرب الذي يشكل فيه النفط أحد أهم مصادر الكسب المادي، وأدى -مع عوامل أخرى- إلى ازدياد أسعار المحروقات في المنطقة، وأثر سلباً على المستوى المعيشي ومستوى الخدمات فيها، وظهر أثره في بعض مطالبات الأهالي خلال الاحتجاجات التي حصلت في شهر نيسان الماضي.

ورغم أن العديد من التقارير تشير إلى أن عتبة الإنتاج النفطي في شرق سوريا تتراوح فقط بين 70 و90 ألف برميل يومياً، إلا أن اقتراح الرئيس الأمريكي بأن تدير شركة "إكسون موبيل" أو شركة نفط أمريكية أخرى حقول النفط شرق سوريا، علاوة على أنه قد سيؤسس لبقاء طويل للشركات الأمريكية في المنطقة، فإنه سيثير العديد من التساؤلات والتحديات، سواء المتعلقة بتوفر الكوادر المحلية اللازمة للعمل في هذه الحقول، والتي قد تجبر الأمريكيين على عقد تفاهم مع الروس لتأمينهم من ذوي الخبرة من مناطق نظام الأسد، واستثناء أهالي المنطقة الذين يمنون أنفسهم بفرص عمل، وأخيراً المتعلقة بالتحديات التي سيواجهها الأمريكيون في تفكيك شبكة المصالح المحلية المعقدة في قطاع النفط، والتي قد تجبر أمريكا على مراعاة مصالح جماعات وأشخاص ضمن هذه الشبكات لتلافي أن تنتج عن هذا التفكيك صدامات مع المجتمع المحلي.

متداولة لقوات النظام في ديرالزور

نشاط خلايا النظام في مناطق قسد من دير الزور

خالد العبد الله

وجود نهر الفرات في ديرالزور كحد فاصل بين قوات وميليشيات النظام وروسيا وإيران من جهة، و"قوات سوريا الديموقراطية" (قسد) والتحالف الدولي من جهة أخرى، لم يمنع خلايا النظام ومؤيديه وأتباعه من العبث في مناطق سيطرة قسد.

قد يكون وجود حقول النفط ومعمل الغاز كونيكو في منطقة الجزيرة الخاضعة لقوات قسد أحد أهم الأسباب التي تدفع النظام إلى بذل كل ما بوسعه لاستعادتها. ففي خريف العام 2017 عبرت قوات النظام نهر الفرات باتجاه قرية حطلة في محاولة للتقدم داخل مناطق الجزيرة، لكنها فشلت. وكررت المحاولة في شباط 2018 وحاولت التقدم باتجاه الريف الشرقي الذي يضم معمل الغاز والحقول النفطية، لكن القوات الأمريكية تصدت بالقوة لهذه المحاولة وأوقعت عدداً كبيراً من القتلى بين الجنود السوريين والروس.

ويبدو أن تذبذب موقف إدارة ترامب من التواجد العسكري الأمريكي في شرق سوريا أحدث بلبلة شديدة في صفوف السكان والعشائر القاطنين في مناطق قسد. فخلال الفترة الممتدة بين قرار ترامب سحب قواته من شمال شرق سوريا، وقراره بإبقاء عدد قليل منها لحماية النفط والغاز بدلاً من سحبها بالكامل، ارتفعت أصوات في مناطق قسد تدعو إلى لقاء عشائري يطالب بتسليم هذه المناطق إلى روسيا، يقف وراءها مؤيدون بالدرجة الأولى وخائفون بالدرجة الثانية. وكان الأكثر صخباً بين تلك النشاطات الاجتماع الذي عقده شيخ عشيرة الجبور نواف عبد العزيز المسلط في الحسكة، ودعا إليه شيوخ عشائر ديرالزور مثل عشيرتي العكيدات والبكارة لعقد مصالحات مع النظام، لكن غالبية زعماء العشائر رفضوا المشاركة في اللقاء باستثناء حيدر الهفل أحد شيوخ عشيرة العكيدات.

ويؤكد مصدر في مناطق قسد طلب عدم الكشف عن اسمه، أنه في تلك الفترة أيضاً توجه أشخاص من قرى الريف الغربي الخاضع لسيطرة قسد إلى مدينة ديرالزور، بينهم نشطاء بعثيون سابقون ومخبرون من أبناء هذا الريف، للالتقاء بممثلين عن النظام في فرع أمن الدولة في مركز محافظة ديرالزور، الأمر الذي ردت عليه قسد باعتقال اثنين من الوجهاء العائدين، لم يتسن لعين المدينة معرفة أسمائهم.

ونقل صحافي من دير الزور يتابع عن كثب التطورات في هذه المنطقة، أن هذه الاتصالات كانت قد بدأت قبل ذلك وبشكل سري، خاصة خلال الفترة السابقة لقرار ترامب في 18 كانون الأول من العام 2018 بسحب القوات الأمريكية قبل أن يتراجع عن ذلك بعد أسبوعين. ونقل الصحافي لعين المدينة معلومات عن أهالي المنطقة تفيد بأن 27 وجيهاً من وجهاء الشعيطات من سكان منطقة الجزيرة توجهوا بين شهري أيلول وتشرين الأول من العام 2018 إلى دمشق سراً، حيث التقوا بممثلين عن النظام في صحنايا. وأكد الصحافي أيضاً أن الوجهاء الذين زاروا دمشق يقيمون في الوقت نفسه علاقات وثيقة مع قوات قسد، ما يكشف التذبذب في المواقف كلما صدر قرار بسحب قوات التحالف من سوريا.

استراتيجية النظام وحلفائه

لا تتبع القوات الروسية في منطقة ديرالزور استراتيجية واضحة حيال رغبتها بمد سيطرتها على مناطق قوات قسد، لكن الزيارات التي قام بها ضباط روس إلى المناطق المتاخمة لقوات قسد، والجو الاحتفالي الذي استقبلهم بهم فادي العفيس القيادي في ميليشيا الباقر الشيعية، لطلب دعمهم في التقدم نحو مناطق قسد وزيادة الحشود العسكرية الروسية في هذه المنطقة، يؤكد نية روسيا ورغبتها في فرض سيطرتها على المنطقة.

بينما تبدو الميليشيات الإيرانية أكثر وضوحاً وأكثر اندفاعاً، فهي تحاول تجنيد شباب المناطق الخاضعة لقسد بشتى الوسائل، وقد اعتقلت قسد مؤخراً أحد عناصر الميليشيات التابعة لإيران من سكان قرية أبو حمام.

بالمقابل تبدو استراتيجية النظام مختلفة، فيقوم مؤيدوه برفع علمه في بعض هذه المناطق كما حصل في بلدة هجين مؤخراً،

كما قام البعض الآخر بكتابة عبارات تهديد ووعيد مذيلة باسم "وهج الدم" وهو لقب لأحد عناصر الميليشيات المحلية التابعة للنظام في حمص، يروج له البعض من أقاربه في قرية غرانيج الخاضعة لسيطرة قسد. في حين يروي قسم ممن تكلمت معهم عين المدينة عن توظيف النظام لأشخاص يروجون له في مجالسهم مثل جاسم القطمير وأولاده الثلاثة الذين سبق أن اعتقلتهم قسد في تموز من هذه السنة.

ويوضح مصدر متابع للوضع في المنطقة أن النظام تمكن عبر مخابراته من اختراق قوات قسد. ونشرت وسائل الإعلام المحلية صورة بطاقة صادرة عن "شعبة المخابرات في القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة" لشخص تبين أنه مقاتل أيضاً في قوات قسد التي أعلنت أنه شكل خلية قامت بأعمال تخريبية منها قتل مدني من أبناء قرية غرانيج في تموز من هذا العام، وبعد اكتشاف أمره لاذ بالفرار إلى الحسكة حيث دخل المربع الأمني هناك، وتتحدث مصادر محلية لعين المدينة عن وجود 150 بطاقة مماثلة على الأقل لأشخاص في منطقة الشعيطات وحدها.

قسد وخلايا النظام

حتى الآن يتحاشى الإعلام الرسمي لقسد نشر أي شيء بخصوص اعتقال أجهزتها لخلايا تابعة للنظام أو مؤيدين له أو ملاحقتهم بسبب نشاطاتهم، كما لم تعلق إعلامياً على أي من الاعتقالات المذكورة أعلاه، ما يجعل موقفها غامضاً حيال هذا الملف. في حين أكد أحد أفراد الأمن العام التابع لقسد لعين المدينة، أن نسبة خلايا النظام من ضمن معتقلي قسد تتجاوز الأربعين بالمئة، لكنه لم يفسر الكيفية التي تسير وفقها الاعتقالات، أو الاتهامات التي توجهها قسد للمستهدفين منها، كما أن النسبة تبدو مبالغاً فيها إذا ما قورنت بالاعتقالات التي يتعرف فيها الأهالي وصفحات محلية على استهداف لخلايا تابعة لتنظيم الدولة "داعش" أو عناصر سابقين في الجيش الحر.

وما يزيد في غموض موقف قسد من أتباع النظام، تردد عساكر يخدمون في صفوف قوات الأسد إلى مناطق قسد لقضاء إجازاتهم العسكرية، إضافة إلى المعابر النهرية غير الرسمية التي تشكلت برضا غير معلن لقسد، وبوساطة وجهاء من قرية الشحيل توسطت بين النظام وقسد، وتستعمل المعابر لتهريب النفط باتجاه مناطق سيطرة النظام في ديرالزور.

متداولة لقوات النظام في ديرالزور

هذا الغموض أو التساهل بالإضافة إلى المجريات الأخيرة، وتصدر بعض الوجاهات لدور الوساطة مع النظام في المنطقة، قد يكون السبب في انشقاق عدد من عناصر مجلس ديرالزور العسكري التابع لقسد بعد انطلاق عملية نبع السلام وتوجههم لتسوية أوضاعهم لدى النظام بأعداد ليست موثقة. والانشقاق الأبرز كان لأحمد محمد الأمين الملقب ب "هلس" بعتاده وذخيرته وآليته، بعد أن كان مسؤولاً في جهاز أمن قسد.

نقل عناصر الكتيبة 47 المنشقة عن قسد الحسكة إلى ديرالزور

عناصر من ميليشيا الدفاع الوطني - متداول

"يقولون كانت شحاذة ومغبية مصاري كثير وقتلتها بنتها وجوز بنتها". جريمة قتل أخرى، وقعت في حي "طب الجورة" الفقير، تضاف لسلسلة الجرائم التي صارت من يوميات مدينة دير الزور.

دير الزور «المطعونة».. مدينة لم تعد تكترث لذاتها

هادي الفيصل

لم تعد جرائم القتل صادمة ومفاجئة كما كانت من قبل، لأن "الناس تعودت وتغيرت نفسياتها كثير" كما يقول ممدوح (اسم وهمي) الموظف الحكومي الذي اضطر مثل موظفين آخرين غيره للعودة إلى المدينة خلال العام الماضي، بعد النزوح إلى دمشق. يفسر ممدوح اللامبالاة التي يقابل بها السكان هذه الحوادث بأن "الناس التهت بحالها وبطلت تهتم بشي".

في الماضي قبل الثورة، كانت جريمة قتل أو حادثة شجار دامية أو فضيحة فساد، قضية تشكل حديثاً رئيسياً لسكان المدينة أياماً وأسابيع عدة، واليوم "لو شفتو واحد يفضي مسدسه براس واحد ما راح أسال منو القاتل ومنو المقتول.. لأنه الناس تغيرت"، يكرر ممدوح تفسيره عن الحياد والأنانية واللامبالاة، الظاهرة التي ترسخت خلال السنوات الماضية في مجتمع كان شديد الانفعال وشديد الفضول إزاء وقائع من هذا القبيل.

الانشغال بالهموم الخاصة، وإهمال المحيط العام، طبع تجذر في سلوك الأغلبية بالرغم من البطالة التي تتيح وقتاً كافياً لتتبع أخبار الآخرين.

عن هذا الفراغ، لم يتغير الكثير بين الماضي واليوم: "أولي كنا قاعدين وما نشتغل شي تقريباً وهسع ما نشتغل وقاعدين"، لكن البال كان خالياً من الهموم الثقيلة، يقول علي (اسم وهمي أيضاً) الذي تدبر أمره وأقنع مديره في الوظيفة بأن يتغاضى عن غيابه ليبقى أكثر أيام الشهر مع أسرته التي ظلت تقيم في دمشق، منذ النزوح عن مدينة دير الزور في العام 2014. وخلال "اليومين ثلاثة" التي يقضيها في دير الزور أول كل شهر، يستقصي عن نوايا المحافظ الكواكبي نحو هذه الشريحة المتهربة من الدوام من الموظفين، إن كان سيصدر تعليمات مشددة جديدة تؤثر في وضعه؛ ويستقصي أيضاً عن التغيرات الداخلية المحتملة في دائرته الحكومية، التي قد تطيح بالاستقرار الهش في حياته المنقسمة بين دير الزور ودمشق. مهما حدث سيبقي أسرته في دمشق "لأن البلد ما عاد تنسكن.. وراحت هذيك الأيام".

المحافظة على هذا الوضع ولأطول مدة ممكنة هي هم رئيسي من هموم الرجل الأربعيني الذي يبدي حنينه إلى تلك الأيام التي يفتقدها اليوم كثيراً. "الصبح أداوم أوقع أو ما أوقع، أقعد شوي أشرب لي كاسة شاي بالشغل، وبعدين أنزل أقعد بقهوة السرايا..مرات أرجع عالدائرة لما يكونون الشباب عيملين فطور، ومرات ما أرجع". والشباب هنا هم زملاء العمل صباحاً، وأصدقاء المقهى مساء، وإلى جانب شباب آخرين بالطبع.

من بين مجموعة الأصدقاء التي تضم ممدوح وعلي، لم يبق أحد سواهما في مدينة دير الزور؛ بعضهم نازح في مناطق "قوات سوريا الديمقراطية (قسد)"، وبعضهم في مناطق المعارضة في الشمال، وبعضهم لاجئون في تركيا أو ألمانيا.

ويحيى كلا الصديقين الباقيين بطريقة مختلفة، إذ يتدبر علي شؤون عيشه بمساعدة أشقائه الذين يعملون في الخليج، فيما يحاول ممدوح أن يتدبر أمره بعمل آخر إلى جانب الوظيفة: سائق سيارة أجرة، عامل في ورشة تنظيف منازل من الركام، بائع أثاث مسروق "تعفيش"، وأخيراً معلم "شوي كبدة وفرافيش" على الرصيف في شارع رئيسي بحي الجورة.

ومن خلال عمله في بسطة الشواء، تعرف على عنصر مهم في ميليشيا "الدفاع الوطني" توسط لدى قائد الميليشيا فراس العراقية، ليتوسط العراقية بدوره لممدوح لدى مديره، ليغض النظر نهائياً عن غيابه. وصحيح أن جميع "عناصر الدفاع الوطني بواقين وحرامية، لكن يلتقى بيناتهم زينين ويحبون مساعدة الناس"، كما في حالة العنصر المهم الذي أمن لممدوح في هذا الشهر أسطوانة غاز وحصة إضافية من المازوت فوق حصة البطاقة الذكية.

"يقولون المرة المقتولة بطب الجورة، كانت تخزن ببيتها حشيش وحبوب، وتشتغل بالمخدرات مع فراس العراقية"

العائدون إلى العشارة يفرون مجدداً منها

أيهم الفراتي

بعد كثرة الوعود التي أطلقها النظام السوري بعودة آمنة للمهجرين، وبعد ضمانات قدمها سماسرة وأعوان النظام للمدنيين بعدم التعرض لهم، عاد عدد من الأهالي إلى مدينة العشارة في محافظة دير الزور ليتفاجأوا بأن الضمانات التي قدمت لهم لم تكن أكثر من وعود كاذبة. وهكذا سيق عدد منهم للمشاركة في القتال في شمال غربي سوريا بعد تجنيدهم بالقوة في صفوف الميليشيات الموالية للنظام، كما تعرض آخرون منهم للابتزاز المالي، دون أن يستطيع أقاربهم خارج مناطق سيطرة النظام أن يفضحوا ممارسات أولئك السماسرة.

في الريف الشرقي لدير الزور (الشامية) الخاضع لسيطرة قوات وميليشيات النظام وحلفائه، تقع مدينة العشارة التي دخلت ساحة الأحداث منتصف العام ال 2012 حين سيطرت قوات المعارضة السورية متمثلة بالجيش الحر عليها بعد طرد قوات النظام، لكنها عادت إلى الهامش كما هو موقعها في أقصى الريف السوري بعد سيطرة تنظيم الدولة "داعش" عليها تمرز العام 2014، وقد استمرت سيطرة التنظيم على المدينة الى خريف العام 2017 حين سيطرت عليها مليشيات النظام السوري والمليشيات الطائفية التابعة لإيران بغطاء جوي روسي، ليستمر المدينة في غيابها.

مع اقتراب قوات النظام من العشارة عام 2017 غادرها جميع سكانها في نزوح جماعي إلى الضفة الأخرى من النهر، ومن هناك أكمل قسم منهم باتجاه مناطق "درع الفرات" ثم إدلب وتركيا، بينما بقي قسم في منطقة الجزيرة من دير الزور التابعة لسيطرة "قوات سوريا الديمقراطية". وفي مناطق نزوحهم اتصل بالأهالي وسطاء لدى النظام، وأكدوا لهم وجود تعهدات من النظام بعدم المساس بهم في حال عودتهم إلى المدينة، فعاد إلى العشارة نازحون من الضفة الأخرى ليجدوا أنفسهم في مواجهة أوضاع أقل ما يقال عنها مأساوية.

فإضافة الى حملات الاعتقال التي تشهدها المدينة، والتي طالت كل من كان له صلة بعيدة بنشاطات ثورية أو مدنية حتى لو كانت علاقات صداقة أو قرابة، فهناك ينتظر العائدين كذلك الاعتقال بهدف الابتزاز المالي، وهذا جعل كثير من العائدين إلى المدينة يفرون منها مجدداً إلى الجهة المقابلة من نهر الفرات حيث تسيطر قوات قسد خوفاً من تلك الاعتقالات. وبحسب أحد العائدين الذين فروا مجدداً من المدينة خوفاً من الاعتقال، فإن "هناك العديد من الأشخاص في المدينة يعملون سماسرة لدى ضباط النظام يقومون بكتابة التقارير بالعائدين ليتم اعتقالهم من الأمن العسكري، ومن ثم يصبح ذات السماسرة وسطاء بين أهالي المعتقلين والضباط، يقبض هؤلاء لإطلاق سراح المعتقلين مبالغ مالية طائلة، الأمر الذي جعل أعداد العائدين إلى المدينة تنخفض بشكل كبير مؤخراً".

في هذا الجانب تلعب سطوة الميليشيات المحلية دوراً كبيراً في تقرير مصير المعتقلين، والذين يكتشف بعضهم أنهم غير مدرجين على قوائم المطلوبين لدى أجهزة النظام الأمنية. يروي أحد أهالي العشارة لعين المدينة عن قريبه الذي لم يشترك بأي نشاط مدني أو ثوري طوال السنوات الماضية. "مع بدء عودة بعض المدنيين رجع إلى المدينة حيث استقر هناك لأقل من شهر، ثم اعتقله عناصر الدفاع الوطني المحليون، وبعدها أحيل الى الأمن العسكري في مدينة دير الزور ثم دمشق، حيث قضى ثلاثة أشهر في السجن، أفرج عنه بعدما دفع مبلغ 2,5 مليون ليرة سورية، وبعد فترة من استقراره في مدينة اللاذقية تأكد أنه لم يكن مطلوباً إطلاقاً لأي جهة أمنية".

يشكل الانفلات الأمني الخطر الأكثر إلحاحاً رغم ذلك، بسبب سيطرة الميليشيات على المدنية ووجود أكثر من سلطة داخلها تتصارع في ما بينها، وتتصدر مليشيات الدفاع الوطني كأبرز قوة مسيطرة في داخل المدينة، إلى جانب تواجد للفرقة الرابعة والحرس الجمهوري والحرس الثوري الإيراني والأجهزة الأمنية المعروفة.

ولأن قسم من العائدين إلى المدينة عادوا عبر المصالحات، فقد انضموا لصفوف الدفاع الوطني ذاتها التي تتحكم بمصير العائدين، وقد تم إرسال دفعات كثيرة منهم الى جبهات حماة وإدلب رغم قطع وعود لهم بالخدمة في مدينة العشارة. ورغم أن بعض من عاد لم يكن في دائرة التجنيد الإجباري بسبب الدراسة أو العمر، ولكن مع مرور الوقت قامت قوات النظام باعتقالهم بحجة أنهم أصبحوا في عمر الخدمة الالزامية أو انتهاء تأجيلهم.

ولتكتمل مأساة الذين وقعوا ضحايا سماسرة النظام وأعوانه، فإن ذويهم غير قادرين على الشكوى من هؤلاء السماسرة والأعوان حتى في مناطق نزوحهم. ويرفض من تكلمت عين المدينة معهم الإدلاء بأي معلومات إضافية عن تلك الشخصيات باستثناء ذكر نشاطاتهم بالعموم، وذلك لاعتبارات عدة أولها اجتماعي سببه احترام أقرباء الوسطاء أو الحذر منهم، وآخرها أمني يفرضه الخوف من مؤيدي تلك الشخصيات وما يمكن أن يفعلوه لأقربائهم في المدينة أو حتى في مناطق النزوح.

متداولة لمودخل العشارة

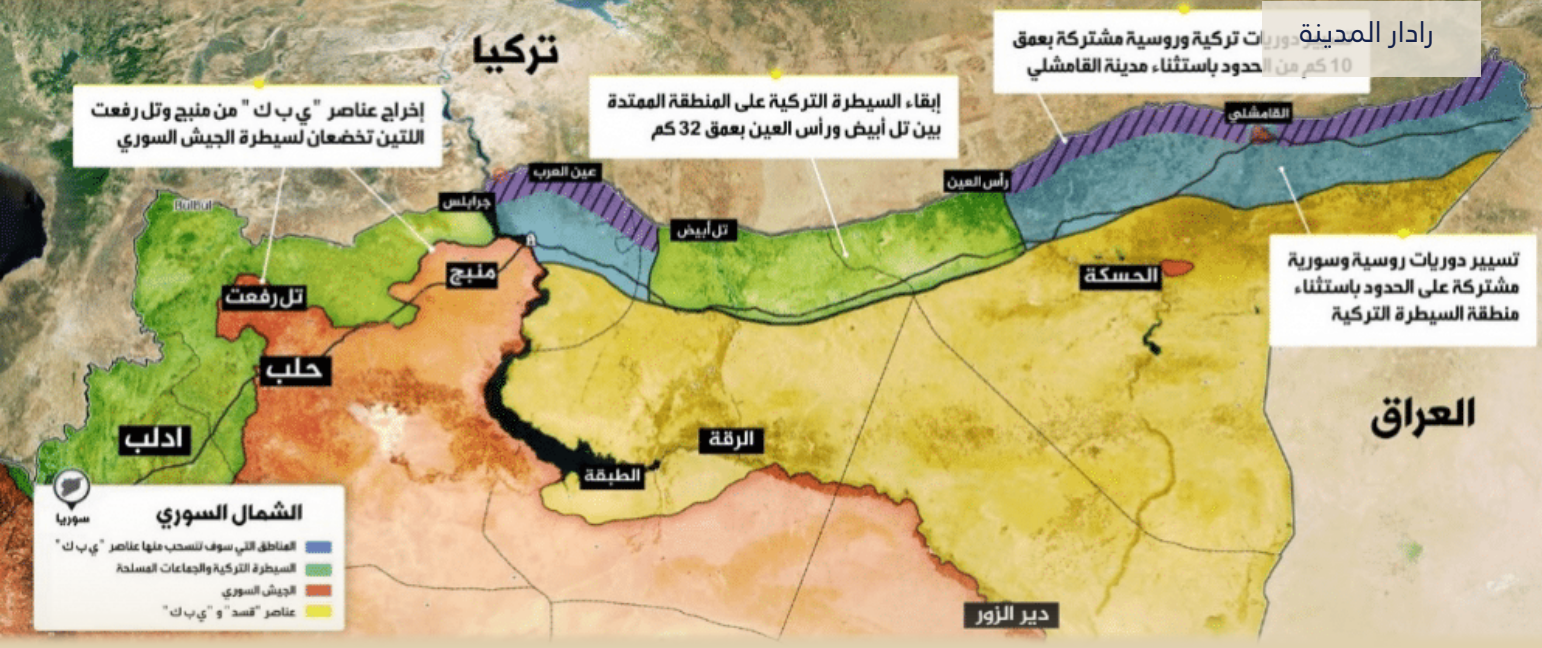

«عملية نبع السلام» تغير خرائط توزع القوى في محافظة الحسكة

مصعب الحامدي

في الثاني من شهر تشرين الثاني 2019، وكان يوم سبت، وجد سكان منطقة نهر زركان الحدودية بين سوريا وتركيا في محافظة الحسكة أنفسهم في قلب المواجهات العسكرية بين "الجيش الوطني السوري" المدعوم من تركيا و"قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، وذلك بعد تسلل عدد من عناصر الأخيرة إلى قرية النويحات (25 كم شرق مدينة رأس العين) فسيطروا عليها وأجبروا قوات الجيش الوطني السوري على التراجع الى قرية أم عشبة المجاورة.

يروي أبو عبد الرحمن وهو أحد سكان قرية النويحات لعين المدينة هذه الساعات الصعبة قائلاً: "عاد الوطني وشن هجوماً معاكساً على تلك القرى، وأجبر قوات قسد على التراجع من قريتنا وقرى عبد الحي وخضراوي وتل حرمل، والانسحاب باتجاه قرية مزري ليطالها القصف أيضاً"، موضحاً أن الاشتباكات تواصلت من عصر يوم السبت حتى ساعات متأخرة من ليلة يوم الأحد الثالث من تشرين الأول.

في هذه الأثناء شهدت القرى حالات نزوح جماعية عبر الأراضي الزراعية إلى القرى المجاورة. وفي مقطع مصور خاص وصل لعين المدينة، يظهر بعض النسوة في حالة فزع شديد ينشغلن باتصالات للاطمئنان على من تبقى في قريتهن. تقول إحدى النسوة التي يظهر أنها تتصل بشخص خارج منطقة الاشتباكات تطمئنه عن أحوالهن "ما اعرف.. ما اعرف.. ما اعرف.. الولاد ظلوا بالبيت ونحن كلنا، جينا والضرب فوقنا، والمدافع ترجد بينا. الضرب كلو على قريتنا، تهدمت بيوتنا.. نطول بالنا على شنو!".

وفي ظهيرة اليوم التالي الأحد وصلت قوات روسية ترافقها قوات من النظام مزودة بمدفعية وأسلحة ثقيلة إلى منطقة الاشتباكات. ويقول أحد الأهالي من سكان تلك المنطقة في حديثه لعين المدينة "عندما وصلت القوات الروسية توقفت على الطريق الواصل بين قرية كسرة وبلدة أبو راسين، وهناك نزل أحد الجنود الروس يتكلم العربية بركاكة وطلب منا عدم الخوف، وأخبرنا أنهم سوف يطلبون من الجيش الوطني الابتعاد عن هذه المنطقة. وبعد ثلاث ساعات انسحب الأخير من القرى التي سيطر عليها وتراجع إلى قرية أم عشبة" لتستقر هناك خطوط الفصل بين القوات على الأرض إلى لحظة إعداد التقرير.

حدود "عملية نبع السلام" على الأرض

من خلال متابعة تطورات الأحداث في هذه المنطقة التي تحدد المنطقة التي سيطر عليها الوطني، يظهر أن المنطقة الممتدة من الحدود السورية - التركية شمال الحسكة بين قرية ظهر العرب (35 كم شرق رأس العين) وقرية نويحات الحدوديتين بعرض 10 كم تقريباً، وباتجاه الجنوب مروراً ببلدة أبو راسين وصولاً إلى بلدة تل تمر بعمق 30 كم هي المنطقة التي ستكون خط الفصل بين مناطق الوطني غرب تلك المنطقة ومناطق قسد شرقها. وتنتشر في هذه المنطقة الفاصلة قوات روسية وقوات من النظام وبعض عناصر قسد سراً، كما يخبرنا سكان من المنطقة.

أما حدود منطقة انتشار "الوطني" من جهة الجنوب فيشكلها الطريق الدولي M4 الذي يمتد من تل تمر مروراً بعين عيسى وصولاً إلى مدينة عين العرب كوباني غرباً. ويعتبر الدولي مكاناً محايداً يستعمله الجميع. أما غرب منطقة "الوطني" فتحدده مدينة عين العرب كوباني التي انتشرت فيها قوات النظام وروسيا، وصرين التي أعادت امريكا تفعيل قاعدتها فيها بعد أن كانت قد انسحبت منها قبل "نبع السلام"

انتشار قوات النظام قبل وبعد العملية

قبل شهر تقريباً كانت معظم مناطق محافظة الحسكة تخضع لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية "قسد" والتي تشكل قوات الحماية الكردية عمودها الفقري، باستثناء بعض المناطق التي تخضع لسيطرة قوات النظام. وتتمثل هذه المناطق بالمربع الأمني في مدينة الحسكة، والفوج 123 المتمركز بقمة جبل كوكب (10 كم شرق مدينة الحسكة على طريق الهول)، والمربع الأمني في مدينة القامشلي وبعض الأحياء المجاورة مثل حارة طي والوسطى والمساكن والغربية، ومنطقة انتشار الفوج 154 جنوب القامشلي والمعروف بفوج "طرطب" ومطار القامشلي الدولي. كما كانت قوات النظام تسيطر على أجزاء من ريف القامشلي الجنوبي بطول 30 كم وعرض 15 كلم وتضم نحو 30 قرية تقريباً.

أما اليوم فقد أعاد النظام نشر قواته، وذلك بعد الاتفاق الذي رعته روسيا مع قوات قسد، وخاصة في المنطقة المحاذية للحدود السورية التركية من مدينة عامودا شمال الحسكة

مروراً بمدينة الدرباسية وصولاً إلى نقاط التماس مع قوات الوطني.

ويفيد الصحافي رودي حسو من مدينة عامودا لعين المدينة، "أن قوات النظام انتشرت في نقاط عسكرية كانت سابقا لها وهي: مخفر قرية الخشافية الحدودي مع تركيا، وتقع هذه القرية بين عامودا والدرباسية وتتبع إدارياً لمدينة عامودا، ومخفر الكمالية شمال مدينة عامودا (3 كم)، ومخفر تل حمدون الواقعة غرب مدينة عامودا (8 كم)، ومخفر خرزة الفوقاني (12 كم) غرب عامودا".

ويوضح حسو أن قوات النظام انتشرت بذلك في المناطق الحدودية مع تركيا من شرق مدينة القامشلي باتّجاه أطراف رميلان مروراً بأطراف القحطانية والجوادية وباب الحديد، ودخلت حقل ملا عباس شمال غرب رميلان، الحقل النفطي الوحيد الذي تسيطر عليه في المحافظة. وهي المرة الأولى التي تدخل فيها ميليشيات النظام إلى هذه المناطق منذ انسحابها منها في عام 2012 وتسليمها لقوات "وحدات حماية الشعب".

أما القوات الروسية بحسب الصحفي حسو فهي تتواجد في ثلاثة مواقع من مدينة القامشلي، وهي المطار الدولي، النادي الزراعي داخل المدينة، وقصر "كريكو" الذي تعود ملكيته الحالية لفؤاد أبو دولو أحد أثرياء الحرب الجدد من الشركاء المحليين لعضو مجلس الشعب السوري والمستثمر حسام القاطرجي، وقد أصبح القصر مقراً للضباط الروس.

وتسير القوات الروسية دوريات انطلاقاً من مدينة القامشلي باتجاه الغرب إلى مدينة عامودا ومن ثم الدرباسية وصولاً إلى قرية القرمانية (5 كم غرب الدرباسية) وهي تمر من أمام النقطة الامريكية في قرية هيمو. وكذلك تنطلق من مدينة القامشلي باتجاه قرية أم الفرسان الواقعة شرقي القامشلي (3 كم) على طريق القامشلي - المالكية، حسب ما أضاف الصحفي حسو.

بينما انطلقت بعض الدوريات الروسية التركية المشتركة على الحدود السورية التركية شرق مناطق "عملية نبع السلام" بموجب اتفاق سوتشي، وقوبلت باستياء الأهالي في وقت تمتنع السيارات العسكرية التركية عن رفع الأعلام التركية.

إعادة الانتشار الأمريكي

بعد تصريح الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في 21 تشرين الأول بخصوص البقاء في شرق وشمال سوريا، عاد عناصر القوات الأمريكية منذ بضعة أيام إلى مقرهم في قرية هيمو الواقعة في مدخل مدينة القامشلي الغربي بعد أن كانوا قد غادروها قبل بدء عملية نبع السلام. كما أعادوا الانتشار في قرية قسرك شمال الحسكة بالقرب من الطريق الدولي M4 الواصل بين بلدة تل تمر ومدينة القامشلي، في ما يبدو أنه محاولة لمنع قوات النظام والروس من توسيع مناطق سيطرتهما، وكذلك لمنع القوات التركية من التمدد أكثر في شمال وشرق سوريا.

وتتواجد القوات الأمريكية حالياً حسب شهود عيان في المنطقة في 3 نقاط عسكرية مهمة بمحافظة الحسكة، وهي مطار "أبو حجر" قرب بلدة رميلان شمال شرق الحسكة، ومطار وقاعدة الحمة قرب بلدة تل تمر شمال غرب الحسكة، وقاعدة الشدادي في الريف الجنوبي للحسكة. وباتت مناطق سيطرتها بالتالي تمتد من جنوبي الحسكة من بلدات الشدادي ومركدة وسبعة وأربعين، صعوداً شمالاً باتجاه منطقة الهول وبلدة تل حميس وبلدة تل براك وصولاً إلى المنطقة الممتدة من شرق مدينة القامشلي حتى منطقة عين ديوار أقصى شمال شرق سوريا، مروراً ببلدات القحطانية والجوادية ورميلان والمالكية وحقول رميلان النفطية التي تضم قرابة 1300 بئر نفطي و25 بئر غاز.

بالعودة إلى من تحدثت معهم عين المدينة من أهالي المنطقة، فهم لا يخفون تخوفهم من الخلافات التي يبدو أنها ما زالت عالقة بين القوى المتصارعة بشأن حدود انتشار كل منها، والتي قد تجعل من منطقتهم مكاناً لمعارك كر وفر، بالإضافة إلى خوفهم من ضياع ممتلكاتهم الخاصة التي قد تتعرض للنهب أو التدمير.

هل يحافظ حميدي الدهام على حياده وعلى قواته «الصناديد»

هاشم الوزير

في يوم (4) من شهر تشرين الثاني الجاري، قتل ثلاثة من عناصر ميليشيا "الصناديد" التي يتزعمها شيخ قبيلة شمر حميدي دهام الهادي، في هجوم نفذه مجهولون على نقطة تفتيش للميليشيا في قرية النعيمية شمال شرق مدينة الحسكة.

تضاربت التكهنات عن الطرف المسؤول عن هذا الهجوم الذي نفذ بأسلحة كاتمة للصوت، بين من يتهم "قوات سوريا الديمقراطية (قسد)" أو "وحدات حماية الشعب" ذات الأغلبية الكردية (YPG)، والتي حاولت قبل أيام من الهجوم انتزاع موقع لصوامع الحبوب من سيطرة "الصناديد"، ومن يتهم تنظيم داعش الذي تراجع نشاطه إلى حد كبير ومنذ أكثر من عام في هذه المنطقة.

قد يكون الهجوم حادثة معزولة عن سياق مستجد أوسع، نشأ إثر إعلان الرئيس الأمريكي سحب قواته والعملية العسكرية التركية شرق الفرات، وما أعقب ذلك من اتفاق عقدته قسد مع النظام، يقضي بانتشار قواته على الحدود مع تركيا شرق الفرات، لكن هذه الحادثة أعادت ميليشيا الصناديد المسترخية مرة أخرى إلى مسرح الأحداث، وفي ظل التغيرات المحتملة القادمة، يبدو أن ميليشيا الصناديد ستكون مطالبة باتخاذ مواقف أشد وضوحاً تجاه حليفتها قسد ومن ورائها الأمريكيين، وتجاه النظام ومن ورائه الروس الذين وسعوا نفوذهم إلى حد كبير مستغلين حاجة الأطراف المختلفة لأدوارهم السياسية والعسكرية في المنطقة.

النشأة

في نهاية العام 2013، شكل ما يقارب (50) شاباً من أقارب الشيخ حميدي مجموعة مسلحة أطلقوا عليها في البداية اسم "جيش الكرامة"، ولم تنخرط هذه المجموعة في الصراع المتعدد والمتداخل آنذاك، بين (YPG) وداعش وجبهة النصرة وبقايا فصائل الجيش الحر في محافظة الحسكة، حيث اقتصرت وظيفتها على حماية الشيخ وحراسة قصره في معقله قرية تل علو. وجاء الموقف الحيادي لهذه المجموعة انعكاساً لموقف زعيمها الذي ينأى بنفسه وبأبناء قبيلته -إن استطاع- عن الصراعات الكبيرة، حفاظاً على مصالح القبيلة وتجنيبها التورط في هذه الحرب.

وبالرغم من العلاقة التي لا تزال تجمعه بنظام الأسد وحلفائه، إلا أنه نجح في الوقت نفسه في بناء علاقات وثيقة مع حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي (PYD) الذي أخذ يهيمن عبر الأجسام والتشكلات المختلفة التابعة له على محافظة الحسكة، بدعم أمريكي في مواجهة تنظيم داعش منذ نهاية العام 2014. وفي العام اللاحق تغير اسم "جيش الكرامة" الذي يقوده بندر بن حميدي دهام الهادي إلى "قوات الصناديد"، وتزايد عدد الأشخاص المنتسبين -الاسميين- إلى صفوف هذه القوات، ليبلغ حسب التقديرات (3000) عنصراً معظمهم من أبناء شمر، ومعهم أعداد أقل من قبائل عربية أخرى.

الأعداد والهيكلية

حسب أشخاص مقربين من قوات الصناديد، تنقسم هذه القوات إلى خمسة فصائل، يحمل كل فصيل اسم الشخص الذي يقوده ويشرف عليه. فهناك فصيل يشرف على حراسة قصر الشيخ الحميدي في قرية تل علو بقيادة ابن الشيخ المدعو الياور، ويعتبر أيضاً القائد التنفيذي لكل الفصائل. وحسب تقديرات مصدر مقرب من الصناديد لعين المدينة، يبلغ عدد العناصر في هذا الفصيل (600) عنصراً تقريباً.

ويسمى الفصيل الثاني "فصيل الذيب"، ويقدر عدد أفراده بنحو (400) عنصر، ومن أبرز ما قام به مشاركته في معركة الهول ضد داعش. أما الفصيل الثالث "فصيل أبو دهام" وهو من أقارب الشيخ، فيقدر عدد أفراده بـ(250) عنصراً في حين أن عدد عناصر الفصيل الرابع "فصيل العمدة" يقدر بـ (500) عنصراً، ويحمل الفصيل الخامس اسم "فصيل حماد مناع" ولا يعرف بالضبط عدد أفراده.

شارك "فصيل الذيب" في المعارك ضد داعش إلى جانب قسد، لكنه اتهم بارتكاب تجاوزات كبيرة وأعمال نهب وسرقة للمنازل اضطرت الشيخ الحميدي إلى التدخل وتسليم قيادة الفصيل إلى ابنه الياور الذي أطلق عليه اسم فصيل الفزعة ووصل بأعداد عناصره نحو (1000) عنصر أغلبهم لا يتقاضون راتباً، "وربما كان هذا سبب التسمية بالفزعة" كما ينقل المصدر لعين المدينة.

اقتصر تسليح "قوات الصناديد" في البداية على السلاح الشخصي الخفيف، وكان الشيخ حميدي يدعو أتباعه المباشرين إلى حمل أسلحتهم الشخصية، لأن قتالهم كعشائر حسب قوله، "لا يحتاج إلى ممول أو سلاح ثقيل لأن الشيمة هي سلاحنا النوعي والثقيل الذي لا يمتلكه غيرنا". وتغير هذا الوضع بشكل كامل عندما عقد الشيخ اتفاقاً مع (YPG) التي سيطرت على محافظة الحسكة بشكل شبه كامل، عين بموجبه في منصب فخري تقريباً، حاكماً مشتركاً على مقاطعة الجزيرة، وحصل على دعم مالي كبير وامتيازات كثيرة.

وتضمن الاتفاق عدم التعرض لعناصر الصناديد وإعفائهم من الخدمة الإلزامية ضمن صفوف قسد، لكن سكاناً من المنطقة يؤكدون أن الإعفاء شمل عملياً أبناء المناطق التي ينتشر فيها التشكيل. وقد دفع هذا البند من الاتفاق الكثير من أبناء المنطقة إلى الانتقال إلى مناطق انتشارها أو الالتحاق بالقوات ولو بشكل صوري، لتجنب الخدمة الإلزامية في صفوف قوات قسد.

من الصعب التأكد من مصدر تمويل قوات الصناديد، لكن من تحدثت إليهم عين المدينة من أبناء المنطقة، يرجحون أن يكون من عوائد النفط التي يبدو أن الإدارة الذاتية التي يقودها الأكراد، تمنح الشيخ الحميدي بالفعل (10%) منها لتمويل قواته ودفع رواتب عناصرها، كما يقول مقربون من الصناديد. وظلت هذه الحصة موضع خلاف بين الطرفين، مع محاولات "الإدارة" تخفيض هذه النسبة، بذريعة أن الأعداد الفعلية لعناصر الصناديد هي أقل بكثير من الأعداد الاسمية المسجلة.

حميدي الدهام

مدارس «متنقلة» بين أشجار الزيتون في إدلب

أحمد العكلة

مدرسة متنقلة في قرية هازانو في شمال غرب سوريا

حمل سامر المصري قليلاً من أمتعته من ريف إدلب الجنوبي إلى منطقة المخيمات الحدودية تاركاً منزله بسبب القصف المدفعي من قبل قوات النظام على القرى والمدن، والذي أدى إلى سقوط عشرات الضحايا بينهم أطفال بالإضافة إلى إغلاق المدارس وما أفضى إليه من انعدام للعملية التعليمية بسبب الاستهداف المتكرر لأي تحرك للأهالي في تلك المناطق.

نصب المصري خيمة بين أشجار الزيتون لعدم قدرته على استئجار منزل مع عائلته في المناطق الشمالية، بالإضافة إلى عدم حصوله على خيمة ضمن تجمع المخيمات على الحدود السورية التركية. وفي حين يحصل شهرياً على بعض المساعدات الغذائية وسلال النظافة لمساعدته في البقاء، فإن الخدمات التعليمية بالنسبة إلى أطفاله معدومة بشكل كامل.

يقول "منذ أكثر من عامين وأطفالي منقطعون عن التعليم بشكل كامل. كنا نعمد إلى إرسالهم إلى المدارس في فترات الهدوء، ولكن التصعيد المتواصل وقيام الطائرات باستهداف المدارس بشكل مباشر أجبرنا على منعهم من الذهاب إلى مدرستهم وإبقائهم في المنزل خشية على حياتهم، وهو ما أدى إلى تخلفهم عن العملية التعليمية".

وأضاف "مع نزوحنا باتجاه المخيمات وبداية العام الدراسي لم تجد عشرات العائلات مدارس قريبة لتسجيل أطفالها فيها، لذلك بدأت في الآونة الأخيرة بعض المنظمات الإنسانية بإنشاء مدارس متنقلة بين المخيمات ورفدها بكوادر تعليمية، بحيث استطعنا تسجيل أطفالنا ومنحهم فرصة تلقي الدروس داخل المكان الذي نعيش فيه، ما يتيح لهم إكمال تعليمهم لاحقاً من دون عناء".

انتشرت في الآونة الأخيرة عشرات المخيمات العشوائية في ريف إدلب الشمالي، وخصوصاً في المناطق الحدودية بسبب نزوح آلاف العائلات من ريف حماة الشمالي والغربي وريف إدلب الجنوبي هرباً من الحملة العسكرية الأخيرة التي شنها النظام السوري بدعم من الطائرات الروسية، علماً بأن هذه المخيمات تعاني من نقص في مختلف مستلزمات المعيشة.

وعلى أطراف بلدة سرمدا بريف إدلب الشمالي، تم بجهود أهلية إنشاء مخيم لسكان ريف إدلب الجنوبي يدعى "الضياء" يتكون من 350 خيمة تؤوي ما يقارب 2500 نسمة. يعيش سكان المخيم وسط ظروف صعبة بسبب عدم وجود صرف صحي ومدارس لأطفالهم، ما يجبر البعض منهم على إرسال أطفاله مسافة 5 كلم موقع أقرب تجمع سكني في سرمدا من أجل إكمال تعليمهم.

سمير العمر أحد قاطني المخيم كان يعمل في مواد البناء يقول: "نزحنا إلى المخيم قبل شهر من بدء العام الدراسي وناشدنا عدداً من المنظمات أن تدعم إنشاء مدرسة تتكون من خيمة يتعلم فيها الأطفال، مع دعم الكوادر الدراسية برواتب شهرية. ولكن لم نلق آذاناً صاغية ما جعل نحو 350 تلميذاً داخل المخيم يعانون التسرب المدرسي". وأضاف "عدد الأطفال الذي يتعلمون في المخيم لا يتجاوز خمسة عشر يقوم أهاليهم بإيصالهم إلى إحدى المدارس في مدينة سرمدا، في حين هجر الآخرون التعليم وأقاموا بسطات متواضعة لبيع ما تيسر من حاجيات بهدف مساعدة ذويهم. وثمة قسم ثالث يرافق الآباء والأمهات للعمل في قطاف الزيتون وورش البناء".

ومع بداية العام الدراسي وانتشار مئات الخيام بين أشجار الزيتون وتسرب عشرات آلاف التلاميذ بسبب عدم وجود مدارس تستقبلهم وتساعدهم في إكمال تحصيلهم العلمي، أقامت منظمة "عطاء" مدارس مؤقتة بين أشجار الزيتون وقامت بتأمين المستلزمات التعليمية للعائلات التي لا قدرة لها على تعليم اولادها في شمال غرب سوريا.

ويقول مالك الطالب مدير مشروع التعليم والمشرف الإداري على قسم التعليم في المنظمة: "يقضي المشروع بإنشاء مدارس ابتدائية طارئة ضمن المخيمات العشوائية تحت عنوان "مدرستي معي" وهو يقع في الريف الشمالي لإدلب". ويضيف "عدد النقاط المتوقع إنشاؤها يناهز 40 نقطة، بحيث تضم كل نقطة تعليمية نحو 360 تلميذاً وتلميذة، تم إلى الآن إنشاء أربع نقاط تعليمية، والعمل مستمر لتغطية كل منطقة المخيمات الواقعة على الحدود السورية-التركية وإيصال النقاط اليها". ويؤكد أن "العاملين في المشروع يبذلون جهوداً كبيرة وسريعة لتوجيه الدعم المالي للداخل، وحماية أطفال المخيمات على وجه التحديد من الضياع والجهل".

يعمل الأستاذ إبراهيم سلوم خريج كلية الشريعة ضمن منطقة المخيمات الحدودية ويقول: "مع بداية العام لاحظنا تسرب آلاف التلاميذ بسبب انقطاع دعم التعليم وعدم وجود مدارس كافية تستوعب جميع التلاميذ الذين لجأوا مع أهاليهم إلى المخيمات والخيام العشوائية، بالإضافة إلى التراجع الكبير في مستواهم التعليمي بسبب الانقطاع المتكرر عن مدارسهم، لذلك كان من الواجب اتخاذ خطوات عاجلة لمواجهة هذا الأمر".

ويضيف "انتشار مشروع المدارس المتنقلة سيحل جزءاً كبيراً من المشكلة، فمعظم الطلاب سيتم تسجيلهم في هذه المدارس مع رفدها بعدد كبير من المعلمين العاطلين عن العمل والمقيمين في الخيم العشوائية. كما أن تأمين مقومات التعليم للتلاميذ سيشجعهم على المجيء إلى هذه المدارس ويخفف عن ذويهم عبء النفقات الدراسية".

هل جمع تجمع خالد بن الوليد المال في سرمين للبغدادي؟

سامر الأحمد

بعد مقتل البغدادي في قرية باريشا قرب الحدود مع تركيا في محافظة إدلب في أواخر تشرين الأول الماضي، بات بالإمكان تفسير بعض الأحداث التي وقعت في هذه المحافظة خلال الأشهر القليلة الماضية بشكل مختلف، بعد ربطها بوجود زعيم داعش في المنطقة نفسها. ومن بين هذه الأحداث التوتر الذي ساد مدينة سرمين شرقي إدلب خلال الأشهر القليلة الماضية التي سبقت قيام كوماندوس أميركي بقتل البغدادي، بعد قيام خلايا تابعة لداعش بفرض الزكاة على أهاليها.

"هيئة تحرير الشام" صاحبة النفوذ العسكري الأول في محافظة إدلب، فضلت الصمت ولم تعلق على قتل البغدادي. وقد اعتبر بعض المراقبين في المنطقة أن تمكن كوماندوس أميركي من العثور على البغدادي قرب الحدود مع تركيا في مناطق نفوذ الهيئة قبلها وقتله، يعتبر فشلاً أمنياً لها، خاصة أنها كانت تعادي البغدادي بقوة ويطلق عليه شرعيوها لقب "زعيم الخوارج". لكن بعض وسائل الإعلام تناقلت تصريحات لجهات مناوئة لهيئة تحرير الشام، ذهبت إلى حد الكلام عن ضلوع الهيئة بقتل البغدادي، وأنها كانت "تمتلك معلومات أمنية هامة حول وجوده" في المنطقة قبل عدة أشهر من قتله.

منذ أواخر العام 2018 قامت الهيئة بعدة مداهمات في سرمين. وبينما كانت أهداف بعض حملاتها واضحة عندما كان مقاتلوها يمشطون بيوت المدينة بيتاً تلو الآخر، اكتنف الغموض حملات أخرى كانت الهيئة تدخل المدينة خلالها بشكل متسارع، ثم لا تلبث وتغادر دون اعتقالات لأحد. وهذا ما جعل البعض يعتقد بامتلاك الهيئة معلومات حول وجود البغدادي في المدينة، وهو أمر غير مثبت وإن كان قابلاً للحدوث نتيجة ولاء عدد من سكان المدينة لتنظيم الدولة وزعيمه البغدادي.

ولفهم هذه التطورات التي تسارعت وسبقت قتل البغدادي، لا بد من العودة إلى الوراء والكلام عن تنظيم جند الأقصى الناشط في الريف الشرقي لمحافظة إدلب (سرمين، النيرب، مصيبين) الذي كان قريباً من داعش ثم تفتت وتوزعت ولاءات فصائله على تنظيمات عدة.

معروف عن جند الأقصى أنه تجنب الدخول في البداية في القتال الذي دار خلال العام 2014 بين جبهة النصرة وتنظيم "الدولة الإسلامية في الشام والعراق". لكن جند الأقصى سرعان ما مال نحو داعش واتهم بالتنسيق مع التنظيم الأخير في العملية الواسعة في ريف حماه خريف العام 2016 التي كانت تهدف إلى فتح ممر نحو منطقة إدلب يربطها بمناطق السيطرة الواسعة التي كان يديرها البغدادي في شرق سوريا خاصة. جوبهت هذه الخطوة بضغط من قبل فصائل مناوئة لتنظيم الدولة مثل "أحرار الشام" التي شنت عقبها حملة عنيفة للغاية على سرمين استخدمت خلالها المدفعية والأسلحة الثقيلة.

في شتاء العام 2017 وبعد فشل معركة ريف حماه، عمد تنظيم جند الأقصى إلى حل نفسه وانقسم مقاتلوه إلى ثلاثة أقسام: الأول التحق بهيئة تحرير الشام، والثاني انتسب إلى الحزب التركستاني الذي تأسس في العام 1993 في مدينة "كاشغر" عاصمة إقليم تركستان بالصين وبدأ أفراده بالتسلل نحو شمالي سوريا منذ العام 2013 وكان أول إعلان رسمي له في أيلول 2015، بينما

فضلت العناصر الأكثر ولاء لمشروع البغدادي الانتقال إلى مدينة الرقة التي كانت تعتبر "عاصمة الخلافة".

ولم تمض سنة على هذه التطورات حتى بدأ انحسار نفوذ داعش، وهو ما دفع العشرات من عناصره مع ما تبقى من عناصر جند الأقصى إلى التسلل باتجاه منطقة إدلب. وينقل مصدر متابع لتلك المرحلة في المنطقة أن المسؤول "الشرعي" السابق لجند الأقصى (أبو عبد الوكيل) كان من بين هؤلاء، لكنه قتل باشتباك في بلدة النيرب برصاص مقاتلي هيئة تحرير الشام.

كانت سرمين والنيرب في تلك الفترة، أي في النصف الثاني من العام 2017، الحاضنة لهذه المجموعات التي بدأت ببث الفوضى عبر زرع العبوات الناسفة واغتيال الأشخاص خصوصاً التابعين للهيئة، من دون أن يسلم المدنيون من هذه الجرائم.

في بداية العام 2018 التأمت المجموعات التي كانت قد انضمت لتحرير الشام وللحزب التركستاني تحت تشكيل جديد ليعلن عن "أنصار التوحيد" بقيادة أبو دياب السرميني. لكن عدداً من العناصر لاسيما القادمين من الرقة بعد الانهيارات الكبيرة التي مني بها التنظيم هناك، فضلوا القيام بعمليات هامة يبدو أنها كانت جزءاً من مخطط البغدادي لإعادة بث الروح في تنظيمه المنهار، كانت الفكرة هي العمل في إدلب بعيداً عن ملاحقات "قوات سوريا الديمقراطية" والمخابرات العراقية.

وفي الفترة الواقعة بين بداية شتاء 2019 وحتى منتصف الصيف الماضي، عاش سكان سرمين حالة رعب فعلية تحت رحمة مسلحي هذا التنظيم الذين تمركزوا فيها وفي مناطق قريبة مثل مصيبين بشكل سري. ومن سرمين أعلنت ولادة "تجمع سرايا خالد بن الوليد" الموالي لتنظيم الدولة، وقد نشط هذا التنظيم الجديد بشكل واسع في مجال جمع المال من المدنيين، ما زاد الشكوك بعد مقتل البغدادي بأنها كانت ترسل له لتمويل تحركاته ونشاطاته.

عانت سرمين كثيراً من التطورات العسكرية التي طاولتها خاصة خلال قيام هيئة تحرير الشام بمحاولات عدة لاقتحام المدينة، ما أدى إلى سقوط الكثير من سكانها بين قتلى وجرحى إضافة إلى الأضرار المادية. يقول أحد سكان سرمين لعين المدينة "عدد عناصر تجمع خالد بن الوليد قد لا يتجاوز ال 20 عنصراً، لكنهم يمارسون القتل والنهب والاختطاف بحجة إقامة الشريعة أو دعم المقاتلين الذين يحاولون الحكم بما أنزل الله".

ويضيف أنه إضافة إلى الوضع الأمني المتردي في المدينة خاصة بسبب المواجهات مع مسلحي هيئة تحرير الشام، شن مسلحو تجمع سرايا خالد بن الوليد حملة على تجار المدينة لابتزازهم وانتزاع أكبر قدر ممكن من الأموال منهم. والآلية بسيطة حسب المواطن من سرمين: "يتصل أحد أفراد التجمع عبر الواتساب بالتاجر المستهدف، ويقول له على سبيل المثال: أنشأنا بيت مال المسلمين، وقد قرر الشرعي أبو عبد الله أن عليك دفع زكاة تقدر ب 4000 دولار". ويختلف المبلغ حسب غنى التاجر، ومن يمتنع عن الدفع يكون عرضة للاستهداف الذي يتنوع بين الطرد خارج المدينة، أو إطلاق الرصاص على متجره أو على منزله، وأحياناً خطف أحد أطفاله أو القتل.

أحد التجار قال أنه دفع مبلغ 2500 دولار، بينما قال آخرون أنهم دفعوا مبالغ تتراوح بين 3000 وحتى 12000 دولار، لكن أحداً لم يفصح عن مكان تسليم الأموال أو طريقة التسليم خوفاً من ردات فعل انتقامية.

اقتحام كفر تخاريم غزوة الزيتون

الجولاني زعيم هيئة تحرير الشام

الزكاة على الزيتون تضاف إلى الحرب والفقر لتزيد من معاناة مزارعي إدلب

محمود البكور

جاء التعميم بفرض الزكاة على محصول الزيتون من قبل الهيئة العامة للزكاة التابعة لحكومة الإنقاذ، ليزيد من معاناة مزارعي الزيتون في منطقة إدلب الذين أرهقتهم سنوات الحرب الطويلة وزادت من فقرهم.

ويفرض التعميم على المزارعين دفع المبالغ المترتبة عليهم داخل معاصر الزيتون في المحافظة، بعد أن تبلغت هذه المعاصر بعدم السماح لأصحاب المحاصيل باستلام محصولهم من الزيت حتى يتم دفع الزكاة عنه. وقدرت الزكاة على محصول الزيت والزيتون بنصف العشر من الكمية (5 %) في حال كانت الأرض مسقية، والعشر إذا كانت مروية عن طريق المطر (عذي)، وشددت الهيئة في تعميمها على ضرورة عدم بيع أية كمية من الزيت أو الزيتون إلا بعد أن يكون مالكها قد دفع الزكاة عبر إيصالات معتمدة لها.

استقبل التعميم برفض شعبي شهد ذروته في مدينة كفرتخاريم التي خرجت مظاهرات فيها، رفعت من سقف مطالبها بعد أن طردت "لجان جمع الزكاة" من المدينة، لتصل إلى رفض تواجد عناصر "هيئة تحرير الشام و"حكومة الإنقاذ" فيها. بينما قابلت "الهيئة" التحرك الأهلي في كفرتخاريم بحصارها وإمهالها يومين للرضوخ لسلطة "الهيئة" وقراراتها. الأمر الذي تم بعد اجتماع بين وجهاء المدينة وهيئة التحرير، كما أعلن مكتب العلاقات الإعلامية للهيئة. لكن الرضوخ للقرار لا يعكس آراء مزارعي الزيتون وقسم كبير من الأهالي في إدلب.

أبو أحمد واحد من مزارعي الزيتون في ريف إدلب. قال لعين المدينة "نعمل على مدار العام بشكل متواصل للإهتمام بمحاصيلنا من الزيتون رغم قلة الإمكانيات والمخاطر الناتجة عن بقاء ألغام وأجسام متفجرة في أراضينا. وها هي هيئة الشام تأتي لتفرض علينا ضرائب جديدة". وأضاف أبو أحمد بحسرة وغضب "لقد أرسلت الهيئة أشخاصاً من قبلها إلى معاصر الزيتون لمراقبة كمية الزيت وفرض الزكاة عليها، وقد أجبرت على دفع نحو 60 كيلوغراماً من الزيت كزكاة قبل أن يسمح لي بتسلم الإنتاج الذي يعتبر مصدر رزقي الوحيد". وختم قائلاً "هذه الضرائب الجديدة التي تفرض علينا أرهقتنا كثيراً، وهي سرقة لمحصولنا السنوي وسوف تبعدنا عن العناية بأشجارنا من الزيتون".

من جهته قال محمد يونس صاحب معصرة زيتون في إدلب شارحاً العوامل التي ساهمت في إضعاف مواسم الزيتون في منطقة إدلب: "لقد دمر القصف المتواصل منذ سنين طويلة قسماً لا يستهان به من بساتين الزيتون، كما أجبر الكثيرون أحياناً على اقتلاع أشجار الزيتون للاستفادة منها كحطب للتدفئة، يضاف إلى ذلك الإهمال الذي ساعد في بوار الكثير من بساتين الزيتون إما لمغادرة أصحابها المنطقة، أو لكونها في منطقة عسكرية كما هو حاصل بالنسبة إلى المناطق القريبة من بلدتي كفريا والفوعة". وأضاف محمد يونس "وما زاد الطين بلة أن موسم الزيتون لهذا العام ضعيف نسبياً، لقلة الرعاية بالأشجار

من قبل المزارعين، ولارتفاع أسعار المحروقات اللازمة لتشغيل المضخات الكفيلة بإيصال المياه إلى بساتين الزيتون لريّها".

وتعاني منطقة إدلب من نقص كبير في المعاصر التي لا يتجاوز عددها الأربع، وكانت آخر معصرة خرجت عن الخدمة تموز الماضي في أطراف بلدة سرمين ريف إدلب، عندما دمرها قصف للطيران الحربي الروسي أوقع أيضاً ضحايا في صفوف المدنيين العاملين فيها. وإضافة إلى فرضها الزكاة، صادرت هيئة تحرير الشام، التي تسيطر تقريباً على كامل محافظة إدلب، الآلاف من أشجار الزيتون في المنطقة في سلقين ودركوش وريف جسر الشغور تحت ذريعة أن أصحابها متواجدون في مناطق سيطرة النظام، أو من الموالين للنظام بشكل مباشر.

في هذا الإطار يقول الناشط المدني من ريف جسر الشغور: "إن هيئة تحرير الشام دائماً ما تقوم بمصادرة الأملاك العامة أو الخاصة تحت العديد من الحجج الواهية، وتحاول تبرير هذه الممارسات بالقول إنها تريد تغطية نفقات مئات الشبان من المرابطين على جبهات القتال مع النظام السوري".

وأضاف الناشط المدني "لقد صادرت هيئة تحرير الشام قرابة 30 ألف شجرة زيتون في ريف إدلب الغربي، وتقول إن أصحاب هذه الحقول موجودون خارج سوريا أو داخل مناطق النظام، أو هم من الموالين للنظام"، وقدّر واردات هذه المنطقة من أشجار الزيتون بنحو 160 مليون ليرة سورية سنوياً.

وينقل سكان إدلب أن عوامل عدة تضافرت لتضرب مواسم الزيتون. فمع قدوم فصل الشتاء ومع ندرة المحروقات وارتفاع أسعارها، حيث وصل سعر برميل الديزل هذا العام إلى 90 ألف ليرة سورية، وسعر طن الحطب إلى 89 ألف ليرة سورية، لا يجد بعض سكان المنطقة مكرهين لتأمين التدفئة إلا قطع عدد من أشجار الزيتون لاستخدامها حطباً. كما تتقلص مساحة بعض بساتين الزيتون القريبة من المنازل بسبب حركة بناء نشطت بعد أن أصبحت محافظة إدلب المكان الوحيد المحرر لجميع المهجرين من مختلف المحافظات السورية، من دون أن ننسى براميل النظام المتفجرة التي تتسبب أحياناً كثيرة بحرائق تقضي على مساحات من بساتين الزيتون المجاورة للمنازل.

وتأتي إدلب في المرتبة الثانية من حيث عدد الأشجار والإنتاج بعد محافظة حلب على مستوى سوريا. وقد قال المهندس الزراعي بسام الخالد لعين المدينة إن "إجمالي المساحات المزروعة بهذه الشجرة يبلغ حوالي 128554 هكتار المروي منها 6'4 آلاف هكتار، وذلك حسب آخر إحصائية قامت بها مديرية إكثار البذار التابعة للحكومة المؤقتة في محافظة إدلب".

وقدّر الخالد عدد أشجار الزيتون في محافظة إدلب بما يقارب 15 مليون شجرة، المثمر منها 13 مليون شجرة. وأوضح أن الإنتاج بلغ 210 آلاف طن، وهي أعلى كمية إنتاج زيتون تسجل في محافظة إدلب. لكن عدم وجود تصدير للزيت خارج محافظة إدلب وكثرة العرض هذا الموسم أفقد سعر زيت الزيتون ثمنه، حيث انخفض سعر الكيلوغرام الواحد منه من 2000 ليرة سورية العام الماضي إلى ألف ليرة سورية هذا العام.

التحرش الجسدي واللفظي "ضريبة" جديدة تدفعها النازحات السوريات

سيرين المصطفى

"كانت نظراته مخيفة فعلاً، عندما رأيت الشيب الذي يغطي رأسه، لم أتوقع أن تصدر منه تلك النظرات الغريبة والكلمات الإيحائية الجنسية". هذا ما قالته عربية لعين المدينة بعدما قطبت جبينها وبدت على وجهها علامات الانزعاج الشديد.

أضافت: "كنت عائدة من عملي في أطمة إلى الدانا في محافظة إدلب حيث مكان سكني بعد النزوح، ورغم اكتظاظ الشوارع بالحافلات لم تقف لي اي منها، فمشيت حتى سيطر علي التعب وصرت ألهث، ما دفعني للجلوس في ظل شجرة على جانب الطريق. ثم وصلت حافلة خالية إلا من السائق، فصعدت. كانت هيئة الأخير توحي أنه تجاوز الستين من عمره. ما إن أغلق باب الحافلة حتى التفت إلي بنظرات إعجاب قائلاً: ما شاء الله، ما شاء الله. وسرعان ما سألني: كم عمرك؟ أجبت: ثلاثون، تابع: متزوجة؟ أجبت: نعم، عندك أولاد؟ قلت: لا. كم عمر زوجك؟ أجبت: ثلاثون. فأردف بكل وقاحة: "ما خرجوا إذا بعمرك، يا ترى بيستاهلك؟"، قلت له: توقف لقد وصلت، فرفض، أراد أن يوصلني إلى مدخل المنزل فأصررت. وعندما أردت أن أدفع له المقابل لم يقبل قائلاً بابتسامة:" بدي بس تكوني بخير وسلامة".

كأنه لم يكف أهالي ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي ما عانوه من ظروف أقل ما يقال فيها أنها قاسية وصعبة خلال الفترة الأخيرة. فمن النزوح هرباً من القصف، إلى الاكتظاظ الكبير في المناطق المضيفة، إلى غلاء المعيشة وصعوبة تأمين سكن جديد. كل تلك الظروف تقاطعت لتشكل أرضية خصبة لظاهرة جديدة تطاول النساء: التحرش بمختلف أنواعه، سواء لفظياً أو جسدياً وما ينتج منه من كلام وتصرفات غير مرحب بها لدى الأنثى الضحية. وما ساعد في تكاثر هذه الظاهرة أن النازحين توزعوا بأعداد كبيرة في مناطق مختلفة من الشمال، البعض في خيم تكاد الواحدة تلتصق بالأخرى، فيما افترش البعض الآخر الأرض والتحف السماء ماكثاً في العراء، بينما استأجر آخرون بيوتاً في مدن وبلدات غريبة عنهم، بالكاد يعرفون أحداً من سكانها أو حتى من يجاورهم من نازحين آخرين.

سألت عين المدينة 50 نازحة من أماكن مختلفة في ريفي إدلب وحماة، توزعن في مدن ومخيمات الشمال، عما إذا كن قد تعرضن للتحرش. وقد تجاوزت نسبة اللواتي عشن هذه التجربة المرة الـ60 بالمئة خلال فترة النزوح التي بدأت منذ تصعيد عمليات القصف التي يقوم بها النظام منذ بداية أيار الفائت حتى اليوم. والمفارقة أن بعضهن كن يعتقدن أن التحرش ينحصر بمحاولة الاقتراب والملامسة الجسدية، وإذ بهن يفاجأن بأنه يندرج أيضاً في الإطار اللفظي.

الضحايا يتحدثن

قالت علا (اسم مستعار 25 عاماً) من قرية الشيخ مصطفى بريف إدلب الجنوبي: "خرجنا من قرانا مع رحيل الكثير من الناس بسبب اشتداد القصف، وواجهنا مشكلة العثور على سكن، وخصوصاً أن عدد النازحين كان كبيراً، كما أن إيجارات البيوت غالية جداً في مناطق الشمال، ونحن عائلة كبيرة لا نستطيع أن نقيم في خيمة أو اثنتين. لذلك استأجرنا بيتاً واحداً مع خالي وعائلته وكنا نتشارك في كل شيء، وخصوصاً النفقات. سارت الأمور بشكل جيد حتى عاد ابنهم الشاب من تركيا. أخذ يحاول التقرب مني وبدأ ملاحقتي من مكان إلى مكان. تارة يقول على مسمعي كلمات "ملغومة" تنطوي بشكل غير مباشر على معان بذيئة، وتارة أخرى يحاول لمسي أو يجلس قريباً مني على نحو لا يطاق. ووصل به الأمر مرة إلى استغلال وجودي في المطبخ وحيدة، فباغتني من الخلف وضمني بقوة. صدمت بسلوكه وسارعت إلى ضربه بركوة القهوة على رأسه، ثم خرجت وقلبي يدق بسرعة جنونية. بكيت يومها بشدة وشعرت بالقرف، بيد أني لم أجرؤ على إخبار أحد من العائلة خشية أن يكذبني ابن خالي ولا يصدقني أحد، فتنشأ مشكلة بين العائلتين لسنا مستعدين لمواجهتها".

وروت زهراء (23 عاماً) من خان شيخون: "أنا خريجة كلية التربية (معلم صف)، نزحت في بداية الحملة لأمكث في قاح في محافظة إدلب. كنت أقرأ مرة صفحة على تطبيق تلغرام تنشر إعلانات للوظائف، فوقعت على مسابقة لتوظيف مدرسين في المخيمات، وعلى من يريد التقدم إليها الذهاب إلى مجمع المخيمات في مخيم الجولان، فاتجهت في اليوم التالي من قاح إلى هناك. الطريق طويل ومليء بالسيارات والناس من مناطق مختلفة. لم أسلم من "التلطيش" والغمزات فضلاً عن التحديق

بي من حذائي حتى الملفح الذي على رأسي".

وسردت عليا (30 عاماً) أيضاً قصتها مع التحرش. قالت: "كنت في مدينة إدلب ومعي بعض الأغراض أريد أن أبيعها. أكياس أرز وبرغل حصلت عليها على شكل معونة وكنت بحاجة للمال. رحت أتنقل بين المحلات بشكل يوحي أنني نازحة، فأوقفني رجل ستيني شبه أصلع ضخم الجثة بحجة أنه يريد شراء الأشياء مني، ثم صار يسألني عن نفسي، فهممت بالمغادرة لكنه أوقفني قائلاً: "عندك مانع أتعرف عليكي؟، فلم أرد، ثم أضاف مشيراً: "أنا بيتي هناك". أصبت بالهلع فأدرت ظهري وغادرت المكان بسرعة".

وقالت عيشة (33 عاماً) "عندما وصلت إلى بنش في محافظة إدلب مع أطفالي لم أكن أعرف شيئاً. سألت صاحب محل ألبسة أسفل المبنى الذي أقيم فيه عن دكاكين السمانة وغيرها من الأمكنة التي قد أتردد إليها يومياً، فطلب رقمي بحجة أنه سيؤمن لي معونات كوني نازحة فأعطيته إياه، ثم صار يبعث إلي برسائل طوال الوقت وكأن لا هم لدي سوى محادثته. لم يحضر لي معونات كما ادعى وتبين لي أن لا علاقة له بذلك. في البداية شعرت بالحرج فصمت، لكنه تمادى وصار يطلب مني أن أحادثه بواسطة الفيديو، فحظرته، فراسلني من أرقام أخرى، ما دفعني إلى كسر البطاقة وجلب غيرها، وعمدت إلى تجنبه كلياً".

القيود الاجتماعية

بحسب تقارير سابقة ناقشت موضوع التحرش، وأشخاص يعملون في المحاكم الشرعية، تستطيع المرأة أن ترفع دعوى على الشخص الذي يتحرش بها في حال كان معها دليل، أي شاهد رأى الواقعة، أو في حال تمكنت من تسجيل مقطع صوتي يظهر تفاصيل الواقعة، أو غيره من الإثباتات. ورغم أن عقوبة صارمة قد تصدر بحق المتحرش، فإن النسبة الأكبر من النساء اللواتي شملتهن أسئلة مجلة عين المدينة يرفضن رفضاً قاطعاً أن يتكلمن أمام أحد عن حادثة التحرش، أو أن يتقدمن للمحكمة لأسباب كثيرة تندرج كلها في إطار الخوف من كلام الناس ومن وصمة العار.

قالت وئام (45عاماً): "من ترتدي لباساً محتشماً وتمشي ضمن الأصول، لا يفكر أحد في الاقتراب منها. وعلى الفتاة ألا تخرج من منزلها إلا للضرورة القصوى، ولا بد من أن تكون برفقة محرم مع التزام حدود الأدب، وإلا فالذنب يقع عليها وتكون هي مسؤولة عن الخطأ مهما حصل". ويبدو واضحاً في كلامها أنها تلقي اللوم على الضحية.

وأوردت امتثال (19 عاماً) طريقة تعاطيها مع التحرش. قالت "أمشي في الشارع على غرار كل الصبايا وقد أصادف أحياناً كلمة مزعجة أو نظرة غير طبيعية، لكن كثرة المشاكل التي أواجهها في حياتي اليومية تدفعني للصمت. يستحيل أن أروي لشخص معين ما حصل معي لأن أحداً لن يدعمني، حتى أهلي. المجتمع سيدينني وسمعتي ستتشوه وقد يؤثر ذلك علي مستقبلاً. الصمت والتجاهل أفضل حل".

بدورها علقت أم علي (50 عاماً): "لدي ابن وحيد وأربع بنات، وأنا نازحة الآن، وفي حال تعرضت إحدى بناتي لمضايقة، سأسكت وأجبرها على المكوث في البيت، لأني لست حالياً في وارد خوض جدل مع أحد. الوضع صعب والمشاكل كثيرة، كما أخاف أن يؤذونني بوحيدي".

مبادرات وحلول خجولة

يتجلى اهتمام المنظمات غير الحكومية بموضوع التحرش من ناحية توعوية، إما بتوزيع ملصقات أو بتنظيم جلسات توعية أو حملات مناصرة، تتناول التحرش بالتفصيل وتزود النساء بإرشادات عن كيفية حماية أنفسهن. وفي بعض مراكز الحماية في المنظمات التي تهتم بالمرأة، هناك ما يسمى "غرفة الحماية" حيث تأتي المرأة وتروي قصتها ويتم تقديم الدعم لها في جو من التكتم الشديد. لكن ذلك لم يساهم في وضع حد للتحرش في مناطق الشمال.

وتقول نور مديرة قسم إدارة حالة gpv في "مركز قباسين المجتمعي" لعين المدينة: "لا يمكن أن نحدد طريقة واحدة للتعامل مع من تعرضت للتحرش، علينا أن نرى الحالة وندرسها، وبحسب الحالة التي تردنا نتصرف، لإنها تختلف من واحدة لأخرى، ليس بالضرورة أن تكون المساعدة توعوية فقط، بإمكاننا أن نؤمن لها مساعدة مادية أو إغاثية وغيره من الخدمات التي يقدمها المركز".

وذكرت فاطمة زيدان مديرة "مركز نقطة بداية" في مدينة سرمدا: "نستقبل النساء اللواتي تعرضن للتحرش فنقدم لهن الدعم النفسي، لاحقاً إن لم يتحسن وكانت الحالة متأزمة جداً نقوم بإحالتها إلى منظمات تم الاتفاق معها بهذا الخصوص، منها التي تعنى بالشأن الطبي والصحي وغيره لمتابعة الحالة إذا كانت متضررة من التحرش".

متداولة لأحد المخيمات

طرابلس المُفقرة والمنسية تنهض لتصبح قلب الاحتجاجات اللبنانية

كلوي دومات
7 تشرين الثاني – The Middle East Eye
ترجمة مأمون الحلبي

في ثاني أكبر مدينة في البلاد، يتحد المحتجون ضد المسؤولين الفاسدين، بغض النظر عن اختلافاتهم. وفي يوم العطلة الأسبوعية الماضي، تجمّع عدة آلاف من المحتجين في ساحة النور في قلب طرابلس، إحدى معاقل الاحتجاجات اللبنانية الثائرة على أهل الحُكم.

ما تزال الساحة مغلقة أمام حركة المرور حتى إشعار آخر. أُعيد طلاء المباني المُحيطة بالساحة بألوان العلم اللبناني، وطرح السُكان المحليون قائمة مطالب وكتبوا شعاراً بأحرف كبيرة: "طرابلس مدينة السلام". تقول مريم، وهي خريجة جديدة تعمل كدليل سياحي: "عند البحث عن طرابلس على موقع غوغل، الشيء الوحيد الذي يظهر هو صور الحرب. هذا ما يُريدنا الساسة أن نظهر عليه. لكن هذا ليس صحيحاً، وهذه ليست طبيعتنا. فمدينتنا جميلة وأهلها ودودون".

التوجّه شمالاً

تُعد طرابلس، التي يبلغ عدد سكانها 700 ألف نسمة، ثاني أكبر مدينة في لبنان، وهي مدينة سُنيّة في غالبيتها، ولها صورة محافظة للغاية. في عام 2014 كان شائعاً أن يرى المرء صوراً لشهداء شباب ماتوا في سوريا المجاورة أو في الصدامات التي كانت تحصل بين منطقة باب التبانة السنيّة وحي جبل محسن ذو الغالبية العلوية. غير أن هذه الصورة في تباين مع طرابلس اليوم، فالمدينة تحتضن المظاهرات الأكثر احتفالية كحركة احتجاجية كرنفالية الشكل تمتد في كل أنحاء البلاد. وفي عدة مناسبات، كانت قوافل المحتجين من بيروت وأنحاء أخرى من البلاد تتوجه شمالاً إلى طرابلس تعبيراً عن تضامنها.

يقول بسام (مالك مطعم): "هذه أول مرة منذ 30 عاماً أشعر أن الشعب اللبناني واحد. أقصد أنه عندما تُجيل النظر إلى الناس ترى محجبات وغير محجبات، شيعة، مسيحيين، سُنّة... وحتى أن بعض الناس هنا قد أتوا من بيروت والجنوب، إنهم هنا ليثوروا معنا. لماذا؟ لأننا جميعاً متفقون الآن".

المتظاهرون، الذين رحّبوا باستقالة رئيس الوزراء سعد الحريري، يريدون الاستمرار بالاحتجاجات على الأقل حتى يتم تشكيل حكومة جديدة من التكنوقراط مستقلة عن الأحزاب السياسية. يقول عبد الله، وهو مهندس معماري عاطل عن العمل: "لا يمكن إنجاز هذه الثورة في بضعة أيام فقط. الأمر هنا كما في أي مكان آخر، فالناس عليهم أن يفهموا أن هذه القضية هي التزام طويل المدى". ويُضيف عبد الله: "من أجل هذا نُقيم في الشوارع تحت الخيام ونحاول أن نرفع درجة الوعي، وأن نشرح للناس ما هي الخطوات التالية. وفي كل الأحوال، علينا أن نثابر بالضغط على السياسيين. إن عدنا إلى بيوتنا الآن، سيكون كل ما قمنا به عديم الجدوى".

مهمّشون ومُفقرون

في سبعينيات القرن الماضي، كان ينتظر طرابلس مستقبل مشرق. كان يوجد في المدينة ميناء بحري كبير، ومطار، ومحطة قطارات، ومصفاة نفط، وحتى معرض دولي صممه المهندس البرازيلي الشهير أوسكار نيمير. لكنّ 15 عاماً من الحرب الأهلية (1975 – 1990) تلاها 15 عاماً من الاحتلال السوري جعل هذه الأحلام تذهب أدراج الرياح.

طرابلس اليوم هي إحدى أفقر مدن لبنان، وأكثر من نصف سكانها يعيشون تحت مستوى خط الفقر. في نفس الوقت، لا يُخفي الساسة المحليون ثرواتهم. فقد صنّفت مجلة فوربيس رئيس الوزراء الأسبق وقطب الاتصالات نجيب ميقاتي بين أغنى أغنياء العالم العربي. التباين الاجتماعي في المدينة صارخ، ويفسّر جزءاً من الغضب الذي يُعبّر عنه المحتجون اليوم. ففي بعض الأحيان، أكثر من ثُلثي السكان عاطلون عن العمل بما فيهم أغلبية كاسحة من الخريجين الجامعيين الذين غالباً لا خيار لديهم سوى قبول المال من الساسة. ومع مرور السنوات، أصبحت الرشوة ممارسة شائعة ومعظم الناس يتكلمون علناً عن ذلك.

الفساد والرشوة

وائل (23 سنة) بدأ العمل في سن العاشرة ليساعد أسرته. كان أثناء أيام العطلة المدرسية أو الأسبوعية يعمل أكبر عدد من الساعات يستطيعه في مصنع للمعلبات الغذائية، لكنه بعد انتهاء دراسته الثانوية لم يستطع تحمّل أعباء الدخول للجامعة. حينها دخل السياسيون على الخط. يقول وائل لموقعنا: "اتصل بي رجال نجيب ميقاتي وعرضوا دفع رسوم دراستي. في المقابل، كان عليّ أن أنشر أشياء إيجابية عنهم على مواقع التواصل الاجتماعي. قبلت الصفقة لمدة عام".

وتقول أحلام، أم لثمانية أولاد ستة منهم عاطلون عن العمل: "الفساد في كل مكان، ومن المستحيل البقاء بدونه". يقول مروان، أحد أبناء أحلام: "كثيراً ما يحدث أثناء الانتخابات أن نطلب شيئاً ما، وبالمقابل يطلبون منا قائمة بأفراد العائلة الذين يستطيعون التصويت لهم. نبيعهم أصواتنا. هذا كل ما لدينا". لا توجد أية ضمانة أن تلتزم الأحزاب بالاتفاقات، لذا يُفضّل بعض الطرابلسيين أن يُدفع لهم نقداً، ويتراوح سعر الصوت الواحد بين 50 إلى 100 دولار. لم يعد أهالي طرابلس يصدقون وعود القادة.

بخلاف الوضع في أنحاء أخرى من البلاد، حيث المظاهرات المضادة والعنف الصادر عن أنصار حزب الله وحركة أمل أديّا إلى ترويع المحتجين، تُساند الأغلبية الساحقة في طرابلس حركة الاحتجاجات. يقول وسام: "لم نعد نريد هذه المنظومة، فهي غير طبيعية. عملهم هو تحسين ظروفنا المعيشية، ومن أجل هذا أُنتُخِبوا، وليس من أجل أن يرموا لنا القليل من النقود من وقت لآخر".

شلة كوبا.. بشار عجيب ورفاقه

حفل استقبال في السفارة الكوبية بذكرى إقامة العلاقات الدبلوماسية مع سورية

ممثلًا عن خريجي الجامعات الكوبية، يلقي بشار عجيب المتحدر من قرية عين شقاق في ريف جبلة، كلمات في بعض حفلات الاستقبال التي تقيمها سفارة كوبا في دمشق. بين الخريجين هنالك من يتمتع بثقافة أرفع واتقان أعلى للإسبانية، لكن لا أحد يتمتع بمهارات عجيب.

من تلك المهارات في بناء علاقة خاصة مع كل سفير كوبي جديد، ولا يتطلب إعداد الكلمات التي يلقيها أي مجهود، سوى إعادة المضمون الثابت نفسه، في كل كلمة وحفل استقبال: انتصار الثورة الكوبية على الامبريالية الأمريكية، ما جعل هذه الجزيرة الصغيرة في الكاريبي قوة كبرى يمتد تأثيرها إلى العالم كله، والعلاقة التاريخية بين الدولتين الشقيقتين المناضلتين سوريا وكوبا أرساها الزعيمان الخالدان فيدل كاسترو وحافظ الأسد.

يشهد الأقارب والمعارف والأصدقاء بشطارة بشار عجيب وحظه. فرغم علاماته القليلة في الثانوية العامة، يحمل اليوم شهادة الدكتوراه في هندسة الإلكترون، عبر منحة حصل عليها لدراسة الهندسة في هافانا بقليل من الدعم أواسط ثمانينات القرن الماضي، ثم وبعد أن عاد وعمل بالقطاع العام بصفة مهندس، دبر منحة كوبية أخرى لدراسة الدكتوراه، ويعود منتصف العقد الماضي مديراً للمكتب الهندسي بمجلس الشعب. ومن هذا المجلس توسعت علاقاته في كل اتجاه، وتوسعت أعماله ايضاً، سمساراً لطالبي الوظائف والاستثناءات والرخص مع كل الوزارات.

وبعد اندلاع الثورة وجد في قضايا المعتقلين والمفقودين في سجون النظام مجال عملاً جديداً، معتمداً على صلاته بضباط مخابرات كبار، وبأسعار تزيد عاماً بعد آخر، فتأمين زيارة لمعتقل في صيدنايا بدأت بثلاثة ملايين ليرة ووصلت إلى أربعة، والكشف عن مصير مفقود، حياً أو ميتاً بمليون ليرة على الأقل.

تضخمت ثروته إلى أرصدة واستثمارات في بنوك الإمارات حيث يقيم شقيقه، فضلاً عن منازل فخمة وقصور بين دمشق وجبلة وعين شقاق وبيت ياشوط، لكن هذه الثروة لم تنسِ عجيب منبته الطبقي كابن فلاح، ثم موظف قطاع عام، فظل يشكو بأن الراتب زهيد، وبأن المسؤولين فاسدون وظل يدافع عن ذوي الدخل المحدود، لا سيما منهم صنفان رئيسيان يعتمد عليهما الوطن: "المعلم اللي لازم ميضل جوعان لأنه ميربي ولادنا.. والعسكري لازم يشبع لأنه ميحمينا كلنا".

أموال عجيب وعلاقاته السورية الكوبية النافذة تثير أحياناً حسد الشلة، شلة كوبا من خريجي جامعاتها مثل المهندس معتز أبو عبد الله، الموظف في مؤسسة الإسكان العسكرية الذي يشكو توقف أعمالها ويتحسر على سنوات قبل الثورة، حين كان المقاولون المتوددون إليه أكثر من عدد الموظفين بهذه المؤسسة العملاقة، أو غير الدارسين في كوبا ممن انضموا إلى الشلة عبر عجيب مثل أيمن برهوم الموظف في الشركة السورية للتجارة، قبل أن ينقل -وبدعم من عجيب- إلى مجلس الشعب، وكذلك المهندسة في المجلس ذاته أصالة قدسية التي انضمت متأخرة إلى هذه المجموعة، وأسست مع برهوم وعجيب شركة تسويق، تبيع منتجات منتهية الصلاحية مكدسة في مستودعات السورية للتجارة، قبل أن تتلف، لذات الذين يدافع عنهم عجيب.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

إدلب

مدارس متنقلة في قرية هازانو في شمال غرب سوريا